

البيئة الأسرية ودورها في تنمية الموهبة

لدى الطفل

- دراسة حالة لأطفال موهوبين في المرحلة الإعدادية -

عجيلات عبد الباقي

ملخص :

تعد الموهبة أو التفوق العقلي من أهم موارد الثروة، وركائز القوة في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وعليه فإن الاهتمام بالأطفال الموهوبين هو اهتمام بالمستقبل، ذلك أنه يع د ثروة لا غنى عنها، وحتمية حضارية تفرضها التحديات الراهنة وذلك لمواكبة الركب الحضاري الذي تعرفه البشرية، وتحقيق أعلى درجات التقدم العلمي والتكنولوجي، ويتوقف ذلك على طبيعة استثمار هذه الطاقات المتميزة، وكيفية توجيهها، وإنائها وتطويرها.

فالأسرة هي أولى الجماعات الإنسانية التي ينشأ الطفل الموهوب في أحضانها، ويكتسب في إطارها مقومات شخصيته وبالتالي فهي تعد المسؤول الأول عن تنمية وتطوير هذه الموهبة وهو ما سنتطرق إليه .

الخلفية النظرية للدراسة :

مفهوم الموهبة وتطوره:

تعد الموهبة ظاهرة فريدة من نوعها، اختصت بها فئة معينة من بني البشر لها قدرة الخلق والإبداع والابتكار، وذلك لمواجهة تحديات الطبيعة، وتم تفسير الموهبة منذ فجر التاريخ بطرق مختلفة، حيث أن هناك من أرجعها إلى عوامل ميتافيزيقية غيبية أو إلى قوى خارقة، كما تم إرجاعها إلى السحر والشعوذة وإلى الإلهام الإلهي. وقد حظيت الموهبة والموهوبين باهتمام كبير لدى سائر المجتمعات الإنسانية، وإذا ما تصفحنا تاريخ هذه الشعوب نستشف ذلك بوضوح من تراثهم الثقافي العريق، ففي العصور القديمة حيث أدرك المصريون القدامى الموهبة والتفوق فألّوها الفراعنة وذلك نظرا لما يمتازون به من قوة وجبريت، واعتبر اليونان الموهوبين فلاسفة حيث أقر سقراط أن الطفل الموهوب يمتلك قوة إلهية تدفعه إلى الإبداع والتميز، وعلة هذا الأساس أولوها أهمية بالغة، وعمدوا إلى اختيار ذوي القدرات القيادية والفصاحة اللغوية منذ سن مبكرة، وخصصوا لهم فصولا يدرسون فيها الفلسفة والفيزياء، أما المجتمع الروماني فبحكم طبيعته العسكرية فقد تم إعداد الأطفال الموهوبين لخدمة الجيش ورعاية شؤون المحمية، غير أن المجتمع الصيني فقد وفر لهم فرص الإقامة المجانية والرعاية والحماية، وعدّهم كنزا وثروة يجدر تتميتها وحفظها من الضياع والإندثار.

وإذا ما عدنا إلى المثلث اللغوي لمصطلح التفوق لوجدناه يشير إلى الغلبة كقولنا فقت فلانا بمعنى تغلبت عليه، والشيء الفائق هو الشيء البارز الفريد من نوعه، كما ويشير هذا المصطلح في اللغة الانجليزية إلى التعالي surpassingness ، والبروز Superiority أي علو المكانة، كما ويقصد الإلهام والإشراق Inspiration ،

ويربطه علماء الصحة النفسية بالقدرة الإبداعية Creativity ، واعتبره كل من سوروكين وتوماس كولي القدرة على القيادة، وربطه علماء النفس والتربية بالقدرة على التعلم والتحصيل...الخ، وهكذا فقد تعددت وجهات النظر حول مصطلح التفوق من فرد إلى آخر، ويعتبر مصطلح التميز Distinction من المصطلحات التي ظهرت في ثلاثينيات هذا القرن، غير أن مصطلح العبقرية قد سبقه في الظهور حيث كان يشير إلى الموهبة والتفوق واستمر ذلك في الفترة الممتدة من ما بين ثلاثينيات وخمسينيات هذا القرن، وكاد يختفي في فترة الستينيات، إلا أنه ما لبث أن ظهر مجددا في السبعينيات في الوقت الذي بدأت فيه بعض المصطلحات تأخذ في الظهور والانتشار منذ منتصف القرن العشرين كمصطلح الابتكار، والتفوق العقلي، والأطفال الموهوبين... حتى الآن، وعليه فجدير بنا تقديم صورة أوضح عن كل مصطلح، وذلك لاختلاف الدارسين نحو هذه المصطلحات، فمنهم من يرى أنها ذات دلالة واحدة، ومنهم من يرى أن لها دلالات متفرقة.

أ- العبقرية:

استخدم هذا المصطلح بادئ الأمر عند الإغريق في القرن الثامن عشر، وكان يشير آنذاك إلى طبيعة التكوين العقلي وليدل على قدرة الفرد على اكتشافات جديدة في ميدان العلم والمعرفة أو إلى إنتاج أصيل في ميدان الفن، وأطلق على هذه القدرة بقدرة الاختراع، واتسع استخدام هذا المصطلح في القرن التاسع عشر ليشير إلى امتلاك العباقرة لقدرات وطاقات عقلية ممتازة، وتمكن أصحابها من تحقيق شهرة واسعة وبلوغ مراكز مرموقة مجالات الفن والفضاء، وقد عني سبيرمان هو الآخر بمصطلح العبقرية عام 1931 فاستخدمه ليدل على قدرة الفرد على الإنتاج الجيد والجديد، ويرى أن الانتاج المتميز هو محك أو معيار Norm العبقرية، وعموما فقد استخدم هذا المصطلح ليدل على الإنتاج الابتكار - حتى أيام سبيرمان - الذي يوصل صاحبه إلى بلوغ المراكز المرموقة في المجتمع.

غير أن تيرمان Terman وهولنجورث استخدموا مصطلح العبقرية كمرادف للتفوق العقلي، وبين تيرمان أن معامل ذكاء الفرد العبقرى يصل إلى 140 درجة فأكثر باستخدام مقياس اختبار بينية، بينما هولنجورث ترى أن معامل ذكاء الفرد العبقرى يصل إلى 180 درجة فأكثر بنفس المقياس، وبينت أن فئة العباقرة من الأطفال تحقق نجاحا عاليا في دراستهم الجامعية ويحصلون على جوائز علمية ومنح أكاديمية وذلك بالنظر إلى ما قدموه من إنجازات قيمة، كما يشيرا إلى أن العبقرية تحدد في ضوء القدرة على الإنتاج الابتكاري الذي يقدمه الفرد وأنه من الصعب اعتماد مقاييس الذكاء كمنبئات عن العبقرية، وهو ما اتضح بجلاء لدى هولنجورث وذلك نظرا لقصورها.

ب- الموهبة:

في مرحلة الستينيات من هذا القرن اعتبر أن الموهوبين هم من تفوقوا في قدرة أو أكثر من القدرات الخاصة، وكان البعض يعتقد أن الموهبة لا تتعلق بالمجالات الأكاديمية وإنما تتعلق بالفنون والألعاب الرياضية والحرفية والمهارات الميكانيكية والقيادة الاجتماعية وكل ما لا يمت بصلة بالذكاء، وهو ما أكدته لانج وايبوم 1932 الذي اعتبر المواهب قدرات خاصة ذات أصل تكويني ليس لها علاقة بدرجة الذكاء ويستدل في ذلك بتوافر هذه المواهب عند المتخلفين عقليا، ويرى أنها مورثة ذلك أن بعض الأسر تراث موهبة الغناء والموسيقى، وليشير

أيضا من خلال استخدامه لمصطلح الموهبة إلى مستوى الأداء المرتفع الذي يصل إليه الفرد في مجال من المجالات التي لا يرتبط فيها بالذكاء.

وتتمثل المواهب - حسب علماء النفس - جميع جوانب الحياة دونما الاقتصار على جانب معين، وتلعب العوامل البيئية دورا حاسما في ذلك حيث أنه كلما تهيأت الظروف الملائمة ليشبع الطفل حاجاته فإن النشاطات التي يقدم على ممارستها تستحث ذكائه إن كان مرتفعا ليصل إلى مستوى أداء مرتفع لصبح موهوبا، وعليه فإن الموهبة هنا قد ارتبطت بذكاء الفرد (الطفل) وبمستوى قدراته العقلية العامة، فإذا ما توفرت له القدرات العقلية العالية والظروف المواتية تمكن من تقديم إنتاج متميز، وبالتالي فإن هذا ما يفسر لنا عن وجود علاقة بين الذكاء والموهبة، ويعد الذكاء أساس الموهبة في تكوينها ونموها وتطورها، ومنه فقد أصبح مصطلح الموهبة يشمل المجالات الأكاديمية بعدما كان محصورا في مجال الفنون وغيرها.

" وقد أشار هافجرهست 1960 بأن المتفوقين عقليا هم الذين يظهر في أدائهم في أي مجال من المجالات التي تحظى بقبول الجماعة التي يعيشون بينها، وقد اعتبرت المؤشرات التالية دالة على وجود الموهبة والتفوق العقلي:

- مستوى مرتفع من الاستعداد للتحصيل الأكاديمي.
- مستوى مرتفع من الاستعدادات العلمية.
- مستوى مرتفع في الفن أو الحرفة.
- مستوى مرتفع في القيادة الاجتماعية.
- مستوى مرتفع في المهارات الميكانيكية." (سعيد حسني العزة، 2000، ص35)

ج- الإبداع:

ويشير هذا المصطلح للدلالة على الأفراد الذين يظهرون نوعا من أنواع السلوك الذي يشمل الاستنباط والتخطيط والتأليف والاختراع والتصميم وتركيب أشياء جديدة لم يتمكن المتوسطون (متوسطي الذكاء) من الناس الوصول إليها، أو بعبارة أخرى قدرة الفرد على إيجاد شيء لم يسبق لغيره بلوغه، وقد يكون ذلك قانونا رياضيا، أو تصميمًا حديثًا لآلة معينة، إلا أن دور الإبداع في التميز يبقى مسألة غير مؤكدة فقد أشار نيكولاس (1972) Nichollas's وتاننبام (1983) Tannenboum وغروبو (1982) Gruber وفيلدمان Feldman إلى صعوبة قياس الإبداع بالرغم من أن تورنس Torrance قد وضع اختبارات تقيس التفكير الإبداعي وهي اختبارات تورنس للتفكير الإبداعي Torrance test of creative thinking التي تقيس قدرات التفكير المتشعبة.

وبالرغم من أن قياس القدرات الإبداعية أو التفكير المتشعب عند اليافعين يبقى موضوعا قابلا للتساؤل في عملية الكشف عن الموهوبين إلا أن تركيب الإبداع في مرحلة الطفولة يمكن أن يرتبط بوظائف شخصية مثل الإنطواء، الحس، الاستقلال، المرونة الفردية، تفتح العقل، اليقظة، الحساسية" (أنيس الحروب، 1999، ص57)

د- التفوق العقلي:

لقد شمل هذا المصطلح كثيرا من أوجه النشاط العقلي والمعرفي فالتفوق عقليا هو من وصل في أدائه إلى مستوى أعلى من مستوى أداء الأفراد العاديين في مجال من المجالات المعبرة عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد

شريطة أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة، وقد شاع استخدام هذا المصطلح في النصف الثاني من القرن الحالي وهو مفهوم نسبي يختلف من جماعة لأخرى باختلاف مستويات الحياة وما يتطلبه الوصول إلى هذه المستويات من طاقات عقلية " وإذا نظر إلى إنتاج المتفوق لفرد ما في الماضي قياساً مع إنتاج فرد في الوقت الحاضر في نفس المجال فإن الأول يعتبر إنتاجه بدائياً أو متخلفاً ومستويات الإنجاز تختلف في الدول المتقدمة عن النامية وفي الريف عن الحضر، وعليه فإن مستوى أداء الفرد يختلف باختلاف موضوع الأداء وبظروف الأداء ووسائل التعليم المتاحة، وبثقافة المجتمع، والزمن الذي تم أو يتم فيه الأداء، كل هذه المتغيرات يجب أخذها بعين الاعتبار " (سعيد حسني العزة، مرجع سابق، ص ص 36-37)، فإذا أردنا الحديث عن الأطفال الذين لم تنتهياً لهم الفرصة ليصلوا إلى مستويات عليا من الأداء في مجالات تقدرها الجماعة فينبغي التحدث عن الذين يمتلكون طاقة دالة على التفوق العقلي وعليه فدراسة التكوين العقلي والعوامل التي تتدخل في وصول الفرد إلى مستويات مرتفعة من الأداء تعد من الأمور التي ينبغي مراعاتها من طرف واضع المقياس، كما يتم في ضوء ذلك تحديد من لديهم طاقة للتفوق العقلي من بين الأطفال وهنا يتوجب استخدام منبئات Predictors وليس محكات Norms ووفقاً لهذه الاعتبارات فإنه يمكن تصميم المقاييس المناسبة " ويجب استخدام الدرجة التي حصل عليها الطفل على مقياس التنبؤ باحتمال وصوله فيما بعد إلى مستوى المتفوق عقلياً وهي درجة نسبية أو منسوبة إلى الدرجة التي يحصل عليها معظم الأطفال، وهكذا نستطيع تحديد مستوى من لديهم طاقة للتفوق العقلي في ضوء درجاتهم على المقياس الذي يقيس هذه الأبعاد التي أسميناها منبئات". (سعيد حسني العزة، مرجع سابق، ص 37)

التعريفات الكلاسيكية والحديثة للموهبة:

يشير مصطلح الموهبة Giftedness في معاجم اللغة العربية إلى إعطاء الشيء بلا مقابل، ومنه فالطفل الموهوب هو من منح شيئاً دونما انتظار مقابل منه، أما من الناحية الاصطلاحية فيعد تيرمان أول من تحدث عن الموهبة والعبقرية والتفوق عام 1925 من خلال دراسته حول الموهوبين، ثم تلتها بعد ذلك ليتاهولنجروت عام 1931 التي ميزت بين الطفل الموهوب عن العادي بقدرته وسرعته في التعلم في كافة المجالات.

ومهما اختلفت أنواع الموهبة وتعددت إلا أنه لا يوجد تعريف عام حول ماهية الطفل الموهوب "ففي عام 1959 قدم كل من فليجلر وببش التعريف التالي: يشمل تعريف الطفل الموهوب الأطفال الذين يتمتعون بقدرات عقلية متفوقة، أو قدرات عالية من التحصيل الدراسي، أو الذين يظهرون تفوقاً في المجالات التالية: الرياضيات، العلوم، الميكانيك، الفنون التعبيرية، الأدب الخلاق، الموسيقى، القيادة الاجتماعية، القدرة الابتكارية الفريدة في التعامل مع البيئة". (ماجدة السيد عبيد، 2000، ص 19)

- وعرف هيوارد واولانسكي عام 1980 الأطفال الموهوبين وفقاً لما جاء في القانون الفيدرالي الأمريكي 1978 بتعريف واحد يفيد "بأنهم نوعية خاصة من الأطفال في مختلف الأعمار، يملكون قدرة فائقة على الأداء العالي في مختلف المجالات، مثل المجال العقلي، المجال الابتكاري، المجال الابداعي، مجال التحصيل المدرسي، المجال القيادي الاجتماعي والمجال الفني، مما يجعلهم يحتاجون إلى خدمات خاصة تتلائم مع موهبتهم

ونبوغهم، تختلف عن تلك التي تقدم للأطفال العاديين في مدارهم العامة". (ماجدة السيد عبيد، مرجع سابق، ص20)

- كما يشير نارامور 1981 في هذا الصدد إلى أنه الطفل الذي يمتلك قدرة فائقة في التعامل مع الحقائق والأفكار والعلاقات بكفاءة عالية، ويفضل الانضمام إلى الجماعات الاجتماعية التي تكبره من الناحية العمرية، وذلك لاعتقادها أنها تشاركه اهتماماته العقلية العليا، ويشغل معظم وقته في القراءة الجادة والمفيدة، خلافاً للأطفال العاديين، الذين يقضون معظم وقتهم في اللهو واللعب.

- واعتبر هافجهرست القدرة العقلية مركبا يشمل جوانب متعددة منها الموهبة، والقدرة اللفظية، والقدرة المكانية والتخيل الواسع، والجوانب والقدرات الميكانيكية والموسيقية". (صالح حس الدايري، 2005، ص36)

- ويرى كيرك أن الطفل الموهوب يتميز عن غيره من الأطفال بقدرة عقلية عالية، حيث تزيد نسبة ذكائه عن 130 ، كما يتميز بقدرة عالية على التفكير الإبداعي.

- "ويرى مارلاند: أن الطفل الموهوب هو الذي يظهر أداء متميزا في التحصيل الأكاديمي، وفي إحدى الأبعاد التالية:

1- القدرة العقلية العامة.

2- القدرة الأكاديمية المحددة.

3- التفكير الإبداعي.

4- قدرة وموهبة القيادة.

5- فنون الأداء العيني.

6- قدرة المحرك والباحث النفساني". (طارق عبد الرؤوف عامر، 2005، ص ص 52-53)

- أما رينزولي فيشير إلى أن الطفل الموهوب هو الطفل الي يتميز عن أقرانه بقدرة عقلية عالية على الإبداع، والالتزام بأداء المهام الموكلة إليه.

وصفوة القول من خلال التعاريف السابقة يمكننا تحديد تعريف إجرائي للطفل الموهوب بأنه ذلك الطفل المتميز عن أقرانه من حيث الأداء في إحدى الأبعاد التالية: - القدرة العقلية العالية - القدرة الإبداعية العالية - القدرة على التحصيل الأكاديمي المرتفع - القدرة على القيام بمهارات ومواهب متميزة وفي شتى المجالات كالمهارات الفنية، أو اللغوية، أو الرياضية.

خصائص الموهوبين:

أ- خصائص جسمية:

" يختلف الأطفال الموهوبين عن العاديين بخصائص جسمانية متميزة، فمستوى النمو الجسمي والصحة العامة لهذه الفئة من الأطفال يفوق مستوى فئة العاديين، فالأطفال الموهوبون يتمتعون بحيوية أفضل، ومقاومة قوية للأمراض، وأن أعمارهم أكثر امتدادا، وغالبا ما يكونون أحسن من ناحية الصحة العامة عن الأفراد العاديين، كما وجد تيرمان أن الأطفال المبدعين قد تعلموا المشي قبل العاديين، كما لا توجد لهم عيوب حسية، وأنهم قد وصلوا إلى البلوغ أكثر من غيرهم". (هارون توفيق الرشيد، 2003، ص ص 25-26)

" وأظهرت نتائج الدراسات المستفيضة لعلماء النفس أن الطفل الموهوب يتميز بالخصائص التالية:

- 1- يخلو من العاهات الجسمية، ولائق بدنيا، ويتمتع بصحة جيدة.
- 2- أقوى جسميا وأفضل صحة، وأثقل وزنا، وأكثر طولاً من أقرانه.
- 3- يتفوق في تكوينه الجسمي، ومعدل نموه، ونشاطه الحركي على أقرانه.
- 4- طاقته للعمل عالية، ونموه العام سريع.
- 5- رياضي ويحب الجري ويمشي كثيراً.
- 6- صحيح البنية وحسن التكوين ويتحمل المشاق.
- 7- ينام لفترة قصيرة ولديه طاقة زائدة باستمرار، ويتمتع بقسط وافر من الحيوية والنشاط.
- 8- خالي نسبياً من الاضطرابات العصبية.
- 9- متقدم قليلاً في نمو عظامه.
- 10- عيوب حسية أقل من العاديين. " (ماجدة السيد عبيد، 2000، ص ص 36-37)

ب- خصائص عقلية ومعرفية:

وهي كل ما يتعلق بنواحي الذكاء والإدراك والانتباه والتخيل والتفكير والاستنتاج، وغيرها من العمليات العقلية الأخرى التي تميز الموهوب عن غيره من الأطفال العاديين، حيث يكون أسرع منهم من ناحية نموه العقلي، فالموهوبون يتمتعون "بذكاء فوق الوسط قد يكون 130 درجة أو 140 فأكثر، كما أنهم قادرون على فهم السبب والنتيجة، وإدراك الارتباطات والعلاقات بين الأشياء، ويستطيعون تحمل الغموض، والقدرة على الإدراك، والفهم والاستيعاب والتعمق في العلوم التجريدية، ويتميزون بالتفكير الإبداعي والإبتكاري، ويهتمون بالتفاصيل، ولديهم اهتمامات عديدة في موضوعات علمية وغير علمية في آن واحد، كما أن لديهم ميلاً لحب الإستطلاع واستكشاف المجهول، وأنهم شديدي الملاحظة، ولديهم قدرة عالية على التركيز، وتعلم المهارات وتركيب الأفكار واستنباطها واستحضارها. " (سعيد حسني العزة، 2000، ص 68)

ويلخص ويتي بعض الصفات العقلية للمنفوقين عقلياً من الأطفال على النحو التالي:

- القدرة على تعلم القراءة في سن مبكرة، وقد يتعلم بعض أولئك الأطفال القراءة تلقائياً دون مساعدة من جانب الكبار.
- زيادة الحصيلة اللغوية في سن مبكرة.
- الشغف بالكتب في سن مبكرة.
- الدقة في الملاحظة واستيعاب ما يلاحظه الطفل وقدرته على تذكر ما يلاحظه.
- القدرة على تركيز الانتباه لمدة أطول من الطفل العادي.
- القدرة على إدراك العلاقات العلية أو السببية في سن مبكرة.
- تعدد الميول في سن مبكرة. " (خليل عبد الرحمان المعاينة ومحمد عبد السلام البواليز، 2000 ، ص

ص 60-61)

ج- خصائص انفعالية اجتماعية:

تشير نتائج عدد من الباحثين إلى ارتباط موجب بين التفوق العقلي في صوره المتعددة، وتلك السمات والصفات الاجتماعية المرغوب فيها، فالخصائص "والسمات الاجتماعية هي كل ما يتصل بتكيف الطفل المبدع مع وسطه الاجتماعي (الذي ينتمي إليه) وتقبله لعناصر التراث الثقافي والحضاري، وانتصاه واستدماجه لها، وذلك من قبيل قضية مؤداها إن كان الإبداع هو صنعة ذاتية تتصل بالفرد ذاته فهو صنعة اجتماعية أيضا، فهناك مناخ اجتماعي ييسر للإبداع ويتيح، ومناخ آخر يعيق الإبداع ويكفه، إلى جانب أن الإبداع هو دائما للمجتمع." (هارون توفيق الرشيدي، 2003، ص 33)

ويتسم الأطفال المتفوقون عن غيرهم بجملة من الصفات المرغوب فيها منها:

- هم أكثر حساسية اجتماعية من العاديين.
- أكثر قدرة على تحمل المسؤولية.
- وهم أمناء يمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم.
- أقل عرضة للإصابة بالاضطرابات الإنفعالية- الاجتماعية. (خليل عبد الرحمان المعاينة ومحمد عبد السلام البواليز، 2000، مرجع سابق ص 61)

ويتسم المتفوقون عن غيرهم من الأطفال بمستويات عالية من الثقة بالنفس والمثابرة، والتفاؤل، والنضج الذي لا يقل مستواه عند البالغ من العمر تسع سنوات عن ذلك المستوى الذي يصل إليه الطفل العادي البالغ من العمر إثني عشر سنة، وهو ما أكدته هولنجروت في نتائجها في هذا الشأن، فالأطفال المتفوقون يتميزون عن في سنهم بالنضج المبكر في جميع جوانب الشخصية، ويمتلك هؤلاء القدرة على التكيف السليم، إلا أن هذا يتوقف على نوع المعاملة التي يتلقونها، بينما سوء التكيف لا يرجع إلى التفوق العقلي بقدر ما يرجع إلى معاملة الآخرين للطفل.

د- خصائص قيادية:

يتسم الموهوبين بصفات قيادية مثل الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة، وحل المشكلات المستعصية، والأصالة والاستقرار النفسي، والاتزان والنضج الانفعالي، والمبادرة والمجازفة، والتفكير الإبداعي، وتحمل المسؤولية، والحس الأخلاقي، وتحسس آمال آلام الأمة، والمرنة والحس بالمسؤولية، والتكيف مع المواقف المختلفة، وحسن الاتصال بال جماهير والدافعية نحو الانجاز، والانجاز المتميز، والاستقلالية الذاتية، وضبط النفس. (سعيد حسني العزة، 2000، ص 69)

هـ- خصائص سلوكية:

قامت سرور عام 1989 بدراسة مشاركة المعلمين في عملية الكشف عن الأطفال الموهوبين وصدق وثبات أحكامهم فيما يتعلق بخصائص الموهوبين السلوكية، وإمكانية بناء صدق لمقاييس تقدير الخصائص والسمات السلوكية للموهوبين، وخلصت الدراسة إلى وجود خمسة أبعاد لخصائص الأطفال الموهوبين في الأردن:

- 1- القيادة: محبوب من قبل زملائه، تحمل جيد للمسؤولية، مشارك، ومتعارف مع المعلمين والزملاء.
- 2- التعلم: حصيلة عالية كمًّا ونوعًا من المفردات، طموح كبير للمعرفة، اهتمام كبير في القراءة.
- 3- الإبداع: حب الاستطلاع، الخيال والمغامرة.

4- المثابرة: المشاركة في جميع الأنشطة.

5- مرونة التفكير: استجابات سريعة، القدرة القوية في الحكم على الأشياء، لا يزعجه التغيير في

الروتين". (صالح حسن الداهري، 2005، ص 41)

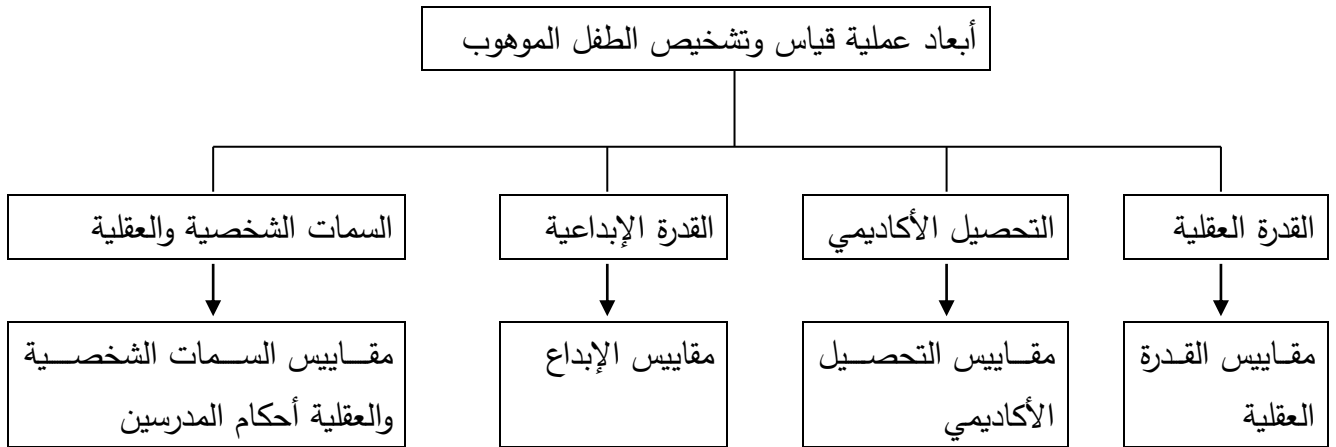
" كما وجد تيرمان أن الموهوبين أقل نزوعاً إلى المفاخرة والمباهة من العاديين، وكان احتمال الفشل في الامتحانات أقل مما كان عند الأطفال العاديين رغم نتائجهم الممتازة وكانت الاجتماعية أكثر سلامة واستقامة، كما كانوا أكثر اتزاناً وصحة من الناحية الانفعالية عن سائر أقرانهم بالفصل، وخلاصة القول أن الموهوبين كانوا أكثر اكتمالاً في شخصياتهم عن أقرانهم العاديين". (خليل ميخائيل معوض، 2000، ص 117)

قياس وتشخيص الموهوبين:

تعتبر عملية قياس وتشخيص الأطفال الموهوبين عملية على درجة كبيرة من الصعوبة والتعقيد نظراً لانطوائها على كثير من الإجراءات التي تتطلب استخدام أكثر من أداة لقياس وتشخيص الموهوبين من الأطفال، ويعد السبب في تعقد هذه العملية إلى تعدد مكونات وأبعاد الطفل الموهوب، حيث تتضمن هذه الأخيرة – أي الأبعاد – القدرة العقلية والإبداعية، والتحصيلية، والمهارات والموهب الخاصة، والسمات الشخصية والعقلية، وعليه فقد توجب قياس كل بعد من هذه الأبعاد السابقة.

والشكل التالي يمثل مفهوم الطفل الموهوب والأبعاد التي يتضمنها وأدوات القياس الخاصة بكل بعد (صالح

حسن الداهري، 2005، ص 39)



أ- مقاييس القدرة العقلية:

تعتبر مقاييس ستانفورد - بينيه، أو مقاييس وكسلر من المقاييس المناسبة في تحديد القدرة العقلية العامة للمفحوصين وعادة ما يعبر عنها بنسبة الذكاء، وتكمن قيمة وأهمية مثل هذه الاختبارات في تحديد موقع المفحوص على منحنى التوزيع الطبيعي للقدرة العقلية، فإذا زادت نسبة ذكاء الطفل عن انحرافين معياريين فوق المتوسط عدّ موهوباً.

ب- مقاييس التحصيل الأكاديمي:

تعد مقاييس التحصيل الأكاديمي (الدراسي) المقننة منها أو الرسمية من المقاييس المناسبة في تحديد قدرة المفحوصين التحصيلية التي عادة ما يعبر عنها بنسب مئوية، فامتحانات القبول في الجامعات أو الثانويات

العامة، أو الامتحانات التحصيلية المدرسية هي من الاختبارات المناسبة في تقدير درجة التحصيل الأكاديمي للمفحوص، الذي يعتبر متفوقا من الناحية العقلية في حال إذا ما زادت نسبة تحصيله الأكاديمي عن نسبة 90% أي أعلى من 3% من الطلبة في تحصيلهم الدراسي.

ج- مقاييس الإبداع:

فمقاييس الإبداع أو التفكير الإبتكاري، أو المواهب الخاصة، هي الأخرى من المقاييس المناسبة في تحديد القدرة الإبداعية لدى المفحوص، ومن المقاييس الشائعة في قياس التفكير الإبتكاري مقياس تورانس 1966 Torrance test of creative thinking ويتألف من صورتين: اللفظية والشكلية بالإضافة إلى مقياس تورانس وجيلفورد للتفكير الإبتكاري/الإبداعي الذي يتضمن الأبعاد التالية: الطلاقة في التفكير، المرونة في التفكير، الأصالة في التفكير. فإذا ما تحصل المفحوص على درجة عالية جدا على مقاييس التفكير الإبتكاري عدّ مبدعا.

د- مقاييس السمات العقلية والشخصية :

" اعتبر العلماء أن مقاييس السمات الشخصية والعقلية وأحكام المدرسين من الأساليب المناسبة في تمييز الموهوبين من أصحاب التفكير الإبتكاري المرتفع، ومن أهم السمات الشخصية والعقلية ما يلي: الطلاقة في التفكير، المرونة في التفكير، الأصالة في التفكير، قوة الدافعية، المثابرة، الإلتزام بأداء المهمات، الإنفتاح والخبرة." (صالح حسن الداهري، مرجع سابق، ص44) وتعد أحكام المدرسين من الأدوات الرئيسية في التعرف على الأطفال الموهوبين وتميزهم عن غيرهم من العاديين، "وتتضمن أحكام المعلمين الأمور التالية:

- ملاحظة المعلمين للطلبة في المواقف الصفية والمواقف اللاصفية.
- جمع المعلمين ملاحظات عن مدى استجابة الطلبة ومشاركتهم في المواقف الصفية، طرحهم لنوعيات معينة من الأسئلة، استجاباتهم المميزة، اشتراكهم في الجمعيات والأندية العلمية، التحصيل الأكاديمي المرتفع، الميول الرياضية والفنية والموسيقية والجمالية." (صالح حسن الداهري، مرجع سابق، ص ص 44-45)

البيئة الأسرية ودورها في تنمية الموهبة لدى الطفل:

" من المهم التنويه إلى أن مهمة الإنسان تتأثر إيجابا أو سلبا بالملامح وأحداث والظروف العامة في المجتمع، كما أن هذه الموهبة تظهر أو تختفي في ضوء مدى وقوة التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به، ناهيك عن فاعلية الموهبة في المواقف العملية الإجرائية تتوقف بدرجة كبيرة على ما تأصل في وعي الإنسان من قيم وتصورات وقدرات عقلية، واتجاهات نفسية، ومفاهيم حياتية، ومنظومات سلوكية." (مجدي عزيز إبراهيم، 2008، ص 187)، وتأثير البيئة وظروفها في حياة الطفل حسب ما أشار إليه بلوم 1964 يكون ما بين السنة الأولى والرابعة من العمر في الجوانب النفسية والعقلية وهو ما أكدته غلين دومان الذي يرى أنه خلال الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل ينمو حجم دماغه بنسبة 80% وهي ما يفسر لنا تعطش الطفل في هذه المرحلة إلى المعرفة.

ونظرا لطبيعة هذه المرحلة العمرية الحاسمة في حياة الطفل، فإن ذلك يتطلب من الأسرة أن تولي عنايتها واهتمامها بشكل كبير ومركز بالطفل خصوصا إذا كان من ذوي المواهب والقدرات المميزة، وذلك على اعتبارها أولى الجماعات الإنسانية التي يتعامل معها الطفل منذ ولادته، ويكتسب في إطارها مقومات شخصية من لغة ودين، وقيم، وعادات وتقاليد، ومعايير خلقية... الخ، وتتوقف طبيعة الدور الذي تقوم به الأسرة على مستواها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، فالاهتمام المتزايد بالتفوق العقلي لدى الأطفال غير العاديين من شأنه أن يساهم في إنماء مواهبهم وقدراتهم العقلية، يساعد في ذلك التشجيع المبكر والتعليم المكثف، ومدى تحقيق المتطلبات الأساسية للنمو، وتهيئة حياة اجتماعية ملائمة، يسودها الاستقرار والطمأنينة، هذا كله من شأنه أن يعزز عملية النمو العقلي لدى الطفل الموهوب، خصوصا إذا كان ينتمي إلى وسط اجتماعي ذو مستوى ثقافي مرتفع، فالدراسة التي أجراها خالد الطحان عام 1977 على عينة من الموهوبين قد كشفت عن وجود علاقة إيجابية بين الموهبة والمستوى الثقافي للأسرة، حيث استخدم في ذلك مجموعة من المؤشرات للتعرف على حجم الاستشارة من الناحية الثقافية للأسرة كالمجلات والكتب، وتنوع ميول الوالدين وهوايتهما، وطبيعة الجو السائد في الأسرة وعلاقة الطفل بهما... الخ.

كما أكد فراسر 1969 في دراسته عن العلاقة بين الثقافة الأسرية وكل من التحصيل الدراسي ومستوى الذكاء، أن تعليم الوالدين الكتب التي تشتمل عليها مكتبة المنزل، وعادة القراءة عند الآباء كلها ترتبط بعلاقة موجبة مع ارتفاع كل من مستوى الذكاء، ومستوى التحصيل الدراسي عند الأبناء، ويشير ستوفرشيها 1959 إلى أن ثلاث أرباع التلاميذ الذين كان آبائهم يبدون اهتماما في متابعة الدراسة، قد تمكنوا من متابعة الدراسة، في حين أن الطلبة الذين لم يهتم آبائهم بالدراسة الجامعية لم يدخل منهم إلى الجامعة إلا الربع. " (ماجدة السيد عبيد، 2000، ص 42)

ويتميز الآباء المتفوقون - حسب جيتزلز وجاكسون 1962 - بثقافة واسعة، واشتغالهم بوظائف تعليمية أكاديمية، ويمتلكون المكتبات الخاصة، ويقتنون المجلات والصحف في غالب الأحيان. " ولقد أشار هاريسون 1972 في دراسة على عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية لمعرفة العلاقة بين النشاط الابتكاري عند الأطفال ومتغيرات البيئة الثقافية المنزلية، أشارت إلى أن هناك علاقة إيجابية بين مستوى القدرة على التفكير الابتكاري لدى الأطفال والاهتمامات الثقافية التي يبديها الآباء في إطار الأسرة، من هذه النشاطات:

- مدى اهتمام الآباء بالنشاطات الابتكارية حول توجيههم الثقافي لأبنائهم.
- مدى تشجيع الآباء لأبنائهم على ممارسة النشاطات العقلية.
- مدى التحفيز وحرية التعبير التي يسمح بها الآباء.
- مدى الاهتمام بالنشاطات الابتكارية التي يبديها الأطفال. (خليل عبد الرحمان المعاينة ومحمد عبد السلام البواليز، 2000، ص 143)

"وقد أشار كل من جيتزلز وجاكسون 1962 إلى أن آباء التلاميذ الأذكاء كانوا أكثر حرصا على تشكيل سلوك أبنائهم ونجاحهم الأكاديمي، ويركزون اهتماماتهم على الثقافة والخلق الطيب والإجتهاد، في حين أن آباء التلاميذ

المبتكرين كانوا يركزون على الانفتاح على الخبرات الجديدة في تربية أبنائهم ويشيرون فيهم روح المثابرة. (خليل عبد الرحمان المعاينة ومحمد عبد السلام البواليز، مرجع سابق، ص 145)

ويؤكد تورانس 1962 أن المناخ النفسي للأسرة بما في ذلك أسلوب المعاملة الوالدية له علاقة بالقدرة على التفكير الإبتكاري عند الأبناء خلال مراحل العمر المختلفة، وأكد أن عامل الأصالة في التفكير يرتبط بنوع المعاملة الوالدية. (مرجع سابق، ص 145)

" ويحتاج الطفل الموهوب أو المبدع من أسرته على وجه الخصوص إلى توفير الإمكانيات المناسبة، وإلى تهيئة الظروف الملائمة وإلى إحاطته بكثير من المثيرات ذات العلاقة بمجالات التفكير، والنشاط الإبداعي التي تعينه على استغلال قدراته العقلية، ومواهبه الإبداعية الكامنة، ويمكن توفير ذلك بأساليب بسيطة، وموارد محدودة، وذلك عن طريق توفير الأشياء السهلة الجديدة، وتشجيعه على القراءة والإطلاع." (رمضان محمد القذافي، 2000، ص 223)

دراسة حالات تلاميذ موهوبين:

الحالة رقم (1):

تعد "مريم" ابنة الثالثة عشر سنة من العمر تلميذة متميزة عن باقي زملائها بقدراتها العقلية العالية، فهي متفوقة دراسيا وموهوبة أدبيا في الوقت ذاته، وقد قمنا بإجراء مقابلات مع المدرسين الذين يشرفون على تأطيرها وتعليمها، وقد أفادت تصريحاتهم بأنها تلميذة متميزة فعلا، تتسم بالنشاط والحيوية والمثابرة، والقدرة لعالية على الإنجاز والتحصيل الأكاديمي، وتتميز أيضا بسرعة بديهيتهذا ذكائها العالي.

نشأت "مريم" في أسرة مثقفة، متكونة من والدين يعملان في سلك التعليم، وأخوين متدرسين يكبرانها بعدة سنوات، يعيشون معا في مسكن واحد وسط مدينة سطيف، وهو مسكن واسع يضم عدة غرف، مما يسمح بالحركة فيه والاستقرار، وتلفت في إطار أسرتها قدرا كافيا من الرعاية والاهتمام، كما وفرت لها كل شروط التمدرس والنجاح من كتب ومجلات، وألعاب وكمبيوتر، وغيرها من المستلزمات الأخرى، وما ساعدها أكثر سعة ثقافة والديها، فهما يقضيان وقتا طويلا في قراءة الكتب والصحف والمجلات ومتابعة الحصص التلفزيونية الهادفة التي ترمي إلى تربية الفرد وتنقيفه.

وفي إطار هذا المناخ الفكري الذي يتسم بالإيجابية بدأ اهتمام "مريم" بالدراسة يزداد، خصوصا بعدما لقيت الترحيب والتشجيع من طرف أفراد أسرتها، وتحقيقها لدرجات عالية في التحصيل الدراسي، وبعد انتقالها إلى المرحلة الإعدادية وجدت "مريم" نفسها تميل إلى قراءة الشعر وتذوق مختلف أغراضه من حكمة وفخر وحماسة... الخ، ثم ما لبثت حتى أخذت تقلد الشعراء في نظم أشعارهم، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل تطورت اهتماماتها الأدبية إلى نظم الشعر والتعبير عن مشاعرها وعواطفها وتصوراتها، وكانت آنذاك ابنة الثانية عشر من العمر.

إن ملاحظة الأهل لما أحرزته "مريم" من تقدم دفعهم إلى تشجيعها، وحثها على المطالعة والمثابرة، ودعوتها إلى محاولة التعبير عن أفكارها دونما اللجوء إلى تقليد الآخرين في كتاباتهم، والهدف من ذلك هو مساعدتها على تأكيد ذاتها وتعزيز ثقتها بنفسها لتطوير موهبتها الشعرية والأكاديمية التي تتعلق بالمنحى التحصيلي أيضا. وتفيد "مريم" من خلال تصريحاتها أن العامل الأساسي الذي ساعدها على تطوير قدراتها العقلية هو الاهتمام المتزايد بها من طرف أفراد أسرتها، وخصوصا والداها من خلال قراءتهما لما تنظمه من شعر، ومتابعتهما المستمرة لمنحاهما الدراسي داخل الأسرة وخارجها، ومساعدتها على إنجاز الواجبات المدرسية، واعتمادهما لأساليب تربوية أكثر تسامحا وتساهلا معها وباقي أفراد أسرتها، وهي أساليب تقوم الحوار والتوجيه، مكنها ذلك من تحقيق تقدم ملحوظ خصوصا في هذه المرحلة التي يمكن أن نصلح عليها بالمرحلة التكوينية لـ"مريم". وتشير "مريم" إلى أن الجو الأسري الذي تعيش فيه يسوده التفاهم والتعاون بين أفرادها، وباعتبارها الأخت الصغرى فهي تحظى باهتمام الجميع وتشجيعهم ومساعدتهم، وهو ما يزيد دافعيته نحو الأداء العالي، فالبينة الصحية تربويا تمكن "مريم" من تنمية موهبتها وتطويرها خصوصا بعدما وجدت التفهم والتأييد والمساندة من طرف الأهل.

وهي تطمح في المستقبل إلى أن تكون شاعرة (متميزة) ومعلمة في الوقت نفسه، تقوم على تربية الأطفال وتعليمهم كما يفعل والداها، فهي مهنة نبيلة في نظرها، بل ومقدسة، لا يشغلها إلا من له الأهلية لذلك، و"مريم" ترى نفسها مستقبلا - ذات أهلية كبيرة لشغل هذا الدور، وهذا ما يعكس لنا درجة الثقة العالية بنفسها، فالبينة التي نشأت فيها تركت أثارا إيجابية على شخصية مريم، وعلى اتجاهاتها وطموحاتها، نظرا لما تتسم به من درجة كبيرة من الوعي ساهمت في تنمية موهبتها وتطويرها وتفوقها الأكاديمي.

الحالة رقم (2):

"خير الدين" أحد التلاميذ الموهوبين والمتفوقين دراسيا، ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال، تقطن بضواحي مدينة سطيف في حي شعبي، ويعيش مع والديه وإخوته، يعمل والده بإحدى المؤسسات الصناعية الخاصة، أما أمه فهي مأكثة بالبيت، ووالداها متعلمان.

بدأ "خير الدين" كتابة القصة القصيرة وهو ابن الثانية عشر من العمر، فكان يكتب قصصا متنوعة من نسيج الخيال أين تظهر من خلالها طموحاته وتوقعاته في الحياة، وكانت أولى إرهاداته (علامات) الموهبة لديه قد أخذت في الظهور عندما كان أستاذ اللغة العربية يكلفه كغيره من التلاميذ بكتابة مواضيع إنشائية، فكان "خير الدين" يتميز عنهم في كتابته بأسلوبه السلس وخياله الواسع وقدرته على التعبير، خصوصا بعد إدراكه أنه موهوب في كتابة القصة، بالإضافة إلى تفوقه الدراسي وقدرته على تطوير هذه الموهبة، فأخذ يوسع من نطاق معارفه بالمطالعة الهادفة، ومحاولة تقليد كتابات المحترفين، إن هذه الموهبة لم توجد من فراغ، فرغم الإمكانيات المحدودة التي حظي بها في منزله من طرف والديه، إلا أن دعم أسرته وتشجيعها له كانا من أقوى العوامل التي ساعدته على إبراز قدراته وتطورها.

تمكن "خير الدين" بعد سنوات قليلة من أن يطور هذه القدرات، ويقدم بعض المحاولات في فن القصة القصيرة، وكان أستاذ اللغة العربية يشرف على قراءتها ويقدم له بعض المحاولات والشروحات التي تفيد في الارتقاء بهذه الموهبة إلى مستوى أفضل عما كانت عليه.

يعتمد "خير الدين" الآن وهو ابن الخامسة عشر سنة أن الموهبة إحدى نعم الله تعالى، أودعها في الإنسان وهي كبذرة تبذر في التربية وتحتاج إلى من يساعد على نموها، وأن الطفل الموهوب إذا ما حظي من أسرته على وجه الخصوص بشيء من التقدير والاهتمام -مهما كان وضعها الاقتصادي والاجتماعي- فإن ذلك الاهتمام يساعد على تنمية هذه الموهبة وتطويرها، علة خلاف البيت الذي يسوده الجهل واللامبالاة، وتتطلب الموهبة في رأيه الرعاية الوالدية أكثر من أي شيء آخر، وهو ما يطمح في المستقبل أن يكون أحد أعلام هذا الفن الأدبي وأن يكرس جهوده في تربية الموهوبين والمتفوقين أمثاله.

الحالة رقم (3):

"عصام" ابن الثالثة عشر من العمر تلميذ بالمدرسة الإعدادية، متفوق دراسيا يعيش مع والديه بمدينة سطيف، وينتمي إلى أسرة مثقفة وثرية، وبذلك فقد تهيأت له الظروف الاجتماعية والاقتصادية المواتية التي تساعده على التفوق العقلي والنجاح المدرسي.

بدأت ميولات "عصام" نحو الدراسة تظهر منذ التحاقه بالمدرسة الابتدائية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تشجيع والديه اللذان يعملان على توفير كل الإمكانيات والظروف التي من شأنها أن تيسر له عملية التعلم كإقتناء الكتب والمجلات والقصص الهادفة والألعاب... الخ، كما اتسمت اتجاهاتهما نحو الدراسة والمدرس والمدرسة بالإيجابية، الأمر الذي ترك أثرا طيبا في نفس "عصام".

يشير "عصام" أن اهتمام والديه بضرورة تفوقه لم يتوقف عند توفير المتطلبات الأساسية للدراسة، وامتد إلى مرافقته كل صباح إلى المدرسة التي يدرس بها، حيث أصبح على صلة وثيقة بمعلمه، ويعمل على متابعة مناهج الدراسي بصورة مستمرة.

يلقى "عصام" من أسرته كل التقدير الاحترام والتشجيع والاهتمام، خصوصا عندما يحقق نتائج جيدة في الامتحانات، وغالبا ما كان يكافؤ على مجهوداته التي يبذلها، وهذا ما جعل منه تلميذا متميزا عن باقي الزملاء في المدرسة، وعند التحاقه بالمدرسة الإعدادية في الآونة الأخيرة، زاد اهتمام أسرته به، وتوقعاتها منه، لذلك فقد سمح له والداه بالانتساب إلى نوادي علمية رياضية والاستفادة من دروس التقوية التي توسع معارفه ومداركه وتزيد من أدائه وتفوقه المدرسي.

ويعتقد "عصام" أن النجاح في الحياة العلمية يعني النجاح في الحياة الاجتماعية فالتعلم يجعله يكتسب جملة من المهارات والمعارف التي تحدد علاقته بالآخرين، أما عن طموحه فهو يطمح أن يكون رائد فضاء.

نستنتج من خلال عرضنا لحالات الأطفال الموهوبين الثلاث أن للبيئة الأسرية تأثير بالغ الأهمية على نمو وتطور المواهب لدى الطفل، خصوصا إذا كانت هذه البيئة مشبعة بدرجة كبيرة من الوعي الذي تتحدد في إطاره

طبيعة المعاملة الوالدية للطفل الموهوب، واتجاهات الوالدين نحو الاستفادة من معطيات المعرفة العلمية في المجال التربوي وفي هذا الشأن بالخصوص ومحاولة تطبيقها، ودرجة حرصهما على تكوين اتجاهات إيجابية لدى الطفل الموهوب عن ذاته، وعن قدراته الخاصة، وإمكانية تطويرها، إلا أن هذا لا ينفي أو يلغي العامل الاقتصادي والاجتماعي ودوره في تنمية وتطوير هذه الموهبة.

قائمة المراجع:

- أنيس الحروب: نظريات وبرامج في تربية المتميزين والموهوبين، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999.
- خليل عبد الرحمان المعاينة ومحمد عبد السلام البوايز: الموهبة والتفوق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.
- خليل ميخائيل معوض: قدرات وسمات الموهوبين -دراسة ميدانية-، الإسكندرية، 2000.
- رمضان محمد القذافي: رعاية الموهوبين والمبدعين، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2000.
- سعيد حسني العزة: تربية الموهوبين والمتفوقين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.
- صالح حسن الداهري: سيكولوجية رعاية الموهوبين المتميزين وذوي الاحتياجات الخاصة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005.
- طارق عبد الرؤوف عامر: دراسات عن المتفوقين والموهوبين، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005.
- ماجدة السيد عبيد: تربية الموهوبين والمتفوقين، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.
- مجدي عزيز إبراهيم: تنمية تفكير التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 200

